

تفسير البحر المحيط

@ 85 @ خدم هند وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخليل ، فأتينا من أديارنا وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأنا وانكفأ القوم علينا . .

وإذاً في قوله : إذا فشلتم ، قيل : بمعنى إذ ، وحتى حرف جر ولا جواب لها إذ ذاك ، ويتعلق بتحسونهم أي : تقتلونهم إلى هذا الوقت . وقيل : حتى حرف ابتداء دخلت على الجملة الشرطية ، كما تدخل على جمل الابتداء والجواب ملفوظ به وهو قوله : وتنازعتم على زيادة الواو ، قاله : الفراء وغيره . وثم صرفكم على زيادة ثم ، وهذان القولان واللذان قبلهما ضعاف . والصحيح : أنه محذوف لدلالة المعنى عليه ، فقدرة ابن عطية : انهزمت . والزمخشري : منعكم نصره ، وغيرهما : امتحنتم . والتقاير متقاربة . وحذف جواب الشرط لفهم المعنى جازل لقوله تعالى : { وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عِلَاقِكْ إِيْرَاضُهُمْ فَلَا إِنْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَبْذُرَ غَايَ زَفَقَاً فِي الْأَرْضِ أَوْ } تقديره فافعل ويظهر أن الجواب المحذوف غير ما قدره وهو : انقسمتم إلى قسمين . ويدل عليه ما بعده ، وهو نظير : { فَلَا مَّأَلَا نَجَّاهُمْ إِلَّا إِلَى الْبِرِّ فَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ } التقدير : انقسموا قسمين : فمنهم مقتصد لا يقال : كيف ، يقال : انقسموا فيمن فشل وتنازع ، وعصى . لأن هذه الأفعال لم تصدر من كلهم ، بل من بعضهم كما ذكرناه في أول الكلام على هذه الآية . .

وقال أبو بكر الرازي : دلت هذه الآية على تقدم وعد الله تعالى للمؤمنين بالنصر على عدوهم ما لم يعصوا بتنازعهم وفشلهم ، وكان كما أخبر به هزمهم وقتلوا ، ودل ذلك على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم) النبي بأن الأخبار بالغيوب من خصائص الربوبية وصفات الألوهية لا يطلع عليها إلا من أطلعه الله عليها ، ولا ينتهي علمها إلينا إلا على لسان رسول يخبر بها عن الله تعالى . { مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } قال ابن عباس وجمهور المفسرين : الدنيا الغنيمة . وقال ابن مسعود ، ما شعرنا أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ، والذين أرادوا الآخرة هم الذين ثبتوا في مركزهم مع أميرهم عبد الله بن جبير في نفر دون العشرة قتلوا جميعاً ، وكان الرماة خمسين ذهب منهم نيف على أربعين للنهب وعصوا الأمر . وممن أراد الآخرة من ثبت بعد تخلل المسلمين فقاتل حتى قتل ، كأنس بن النضر وغيره ممن لم يضطرب في قتاله ولا في دينه . وهاتان الجملتان اعتراض بين المعطوف عليه والمعطوف . { ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْ دُنْيَاهُمْ } أي جعلكم تنصرفون . { لِيَبْذُرَ لَكُمْ } أي ليمتحن صبركم على المصائب

وثباتكم على الإيمان عندها . وقيل : صرفكم عنهم أي لم تتماد الكسرة عليكم فيستأصلوكم .
وقيل : المعنى لم يكلفكم طلبهم عقيب انصرافهم . وتأولته المعتزلة على معنى : ثم
انصرفتم عنهم ، فإضافته إلى الله تعالى بإخراجه الرعب من قلوب الكافرين ابتلاء للمؤمنين .
وقيل : معنى ليبتليكم أي لينزل بكم ذلك البلاء من القتل والتمحيص . { وَلَلْعَذَابُ عَافَا
عَذَابُكُمْ } قيل : عن عقوبتكم على فراركم ، ولم يؤاخذكم به . وقيل : برد العدو عنكم .
وقيل : بترك الأمر بالعود إلى قتالهم من فوركم . وقيل : بترك الاستئصال بعد المعصية
والمخالفة . فمعنى عفا عنكم أبقى عليكم . .

قال الحسن : قتل منهم جماعة سبعون ، وقتل عم النبي صلى الله عليه وسلم) ، وشج وجهه
وكسرت ربايعيته . وإنما العفو إن لم يستأصلهم هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وفي
سبيل الله غضاب الله يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شيء فضيعوه ، فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا
الغم . يا فسق الفاسقين اليوم يحل كل كبيرة ، ويركب كل داهية ، ويسحب عليها ثيابه ،
ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم انتهى كلام الحسن . والظاهر أن العفو إنما هو عن الذنب ،
أي لم يؤاخذكم بالعصيان . ويدل عليه قرينة قوله :